مختصـر ابن كثير

بسم الله الرحمن الرحيم .

- 1 - والفجر .

- 2 - وليال عشر .

- 3 - والشفع والوتر .

- 4 - والليل إذا يسر .

- 5 - هل في ذلك قسم لذي حجر .

- 6 - ألم تر كيف فعل ربك بعاد .

- 7 - إرم ذات العماد .

- 8 - التي لم يخلق مثلها في البلاد .

- 9 - وثمود الذين جابوا الصخر بالواد .

- 10 - وفرعون ذي الأوتاد .

- 11 - الذين طغوا في البلاد .

- 12 - فأكثروا فيها الفساد .

- 13 - فصب عليهم ربك سوط عذاب .

- 14 - إن ربك لبالمرصاد .

أما الفجر فعروف وهو الصبح وعن مسروق : المراد به فجر يوم النحر خاصة وهو خاتمة الليالي العشر وقيل : المراد بذلك الصلاة التي تفعل عنده والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة (وهو قول ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف) وقد ثبت في صحيح البخاري : " ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام " يعني عشر ذي الحجة قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : " ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلا خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء " (أخرجه البخاري عن ابن عباس مرفوعا) . وقيل : المراد بذلك العشر الأول من المحرم عن ابن عباس : { وليال عشر } قال : هو العشر الأول من رمضان والصحيح القول الأول . روي عن جابر يرفعه : " إن العشر عشر الأضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر " (أخرجه أحمد والنسائي وابن أبي حاتم قال ابن كثير : إسناد رجاله لا بأس بهم والمتن في رفعه نكارة) . وقوله تعالى : { والشفع والوتر } الوتر يوم عرفة لكونه التاسع والشفع يوم النحر لكونه العاشر قاله ابن عباس : قول ثان : عن واصل بن السائب قال : سألت عطاء عن قوله تعالى : { والشفع والوتر } قلت : صلاتنا وترنا هذا ؟

قال : لا ولكن الشفع يوم عرفة والوتر ليلة الأضحى . قول ثالث : عن أبي سعيد بن عوف قال : سمعت عبد ا بن الزبير يخطب الناس فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن الشفع والوتر ؟ فقال : الشفع قول ا تعالى : { فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه } والوتر قوله تعالى : { ومن تأخر فلا إثم عليه } (أخرجه ابن أبي حاتم) . وفي الصحيحين : " إن تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر " (أخرجه الشيخان عن أبي هريرة مرفوعا) . قول رابع : قال الحسن البصري : الخلق كلهم شفع ووتر أقسم تعالى بخلقه (وهو رواية عن مجاهد) . وقال ابن عباس : { والشفع والوتر } قال : ا وتر واحد وأنتم شفع ويقال : الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب . قول خامس : عن مجاهد { والشفع والوتر } قال : الشفع الزوج والوتر ا D (أخرجه ابن أبي حاتم) وعنه : ا الوتر وخلقه الشفع الذكر والأنثى وعنه : كل شيء خلقه ا شفع : السماء والأرض والبر والبحر والجن والإنس والشمس والقمر ونحو هذا كقوله تعالى : { ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون } أي لتعلموا أن خالق الأزواج واحد . قول سادس : قال الحسن : { والشفع والوتر } هو العدد منه شفع ومنه وتر . قول سابع : قال أبو العالية والربيع بن أنس هي . الصلاة منها شفع كالرباعية والثنائية ومنها وتر كالمغرب فإنها ثلاث وهي وتر النهار وكذلك صلاة الوتر في آخر التهجد من الليل ولم يجزم ابن جرير بشيء من الأقوال في الشفع والوتر .

وقوله تعالى : { والليل إذا يسر } قال ابن عباس : أي إذا ذهب وقال مجاهد وأبو العالية { والليل إذا يسر } : إذا سار أي ذهب ويحتمل إذا سار : أي أقبل وهذا أنسب لأنه في مقابلة قوله : { والفجر } فإن الفجر هو إقبال النهار وإدبار الليل فإذا حمل قوله : { والليل إذا يسر } على إقباله كان قسما بإقبال الليل وإدبار النهار وبالعكس كقوله : { والليل إذا عسعس ... والصبح إذا تنفس } وقال الضحاك : { والليل إذا يسر } أي يجري وقال عكرمة : { والليل إذا يسر } يعني ليلة جمع المزدلفة وقوله تعالى : { هل في ذلك قسم لذي حجر } أي لذي عقل ولب وحجى وإنما سمي العقل (حجرا) لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال وحجر الحاكم على فلان إذا منعه التصرف وهذا القسم هو بأوقات العبادة وبنفس العبادة من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب التي يتقرب إليه عباده المتقون المطيعون له الخائفون منه المتواضعون لديه الخاشعون لوجهه الكريم ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده : { ألم تر كيف فعل ربك بعاد } ؟ وهؤلاء كانوا متمردين عتاة جبارين خارجين عن طاعته مكذبين لرسله فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرهم وجعلهم أحاديث وعبرا فقال : { ألم تر كيف فعل ربك بعاد ... إرم ذات العماد } ؟ وهؤلاء (عاد الأولى) وهم الذين بعث ا فيهم رسوله هودا عليه السلام فكذبوه وخالفوه فأنجاه ا من بين أظهرهم

ومن آمن معه منهم وأهلكهم { بريح صرصر عاتية } وقد ذكر الله قصتهم في القرآن ليعتبر بمصرعهم المؤمنون فقوله تعالى : { إرم ذات العماد } عطف بيان زيادة تعريف بهم وقوله تعالى : { ذات العماد } لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الشداد وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلقة وأقواهم بطشا ولهذا ذكرهم (هود) بتلك النعمة وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم فقال : { واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين } .

وقال تعالى : { فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ؟ أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة } وقال ههنا : { التي لم يخلق مثلها في البلاد } أي القبيلة التي لم يخلق مثلها في بلادهم لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم وقال مجاهد : إرم أمة قديمة يعني عادا الأولى قال قتادة والسدي : إن إرم بيت مملكة عاد وكانوا أهل عمد لا يقيمون وقال ابن عباس : إنما قيل لهم ذات العماد لطولهم واختار الأول ابن جرير وقوله تعالى : { التي لم يخلق مثلها في البلاد } الضمير يعود على القبيلة أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في البلاد يعني في زمانهم روي عن المقدام أنه ذكر { إرم ذات العماد } فقال : " كان الرجل منهم يأتي على الصخرة فيحملها على .

الحي فيهلكهم " (أخرجه ابن أبي حاتم عن المقدام مرفوعا) وسواء كانت العماد أبنية بنوها أو أعمدة بيوتهم للبدو أو سلاحهم يقاتلون به أو طول الواحد منهم فهم قبيلة وأمة من الأمم وهم المذكورون في القرآن في غير ما موضع المقرونون بثمود كما ههنا والله أعلم .

ومن زعم أن المراد بقوله : { إرم ذات العماد } مدينة إما دمشق أو اسكندرية أو غيرهما فضعيف لأنه لا يتسق الكلام حينئذ ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم وقول ابن جرير : يحتمل أن يكون المراد بقوله : { إرم ذات العماد } قبيلة أو بلدة كانت عاد تسكنها فلذلك لم تصرف فيه نظر لأن المراد من السياق إنما هو الإخبار عن القبيلة ولهذا قال بعده : { وثمود الذين جابوا الصخر بالواد } يعني يقطعون الصخر بالوادي قال ابن عباس : ينحتونها ويخرقونها يقال : اجتاب الثوب إذا فتحه وقال تعالى : { وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين } وقال ابن اسحاق : كانوا عربا وكان منزلهم بوادي القرى وقد ذكرنا قصة عاد مستقصاة في سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته . وقوله تعالى : { وفرعون ذي الأوتاد } قال ابن عباس : الأوتاد الجنود الذين يشدون له أمره ويقال : كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم في أوتاد من حديد يعلقهم بها وكذا قال مجاهد : كان يوتد الناس بالأوتاد وقال السدي : كان يربط الرجل كل قائمة من قوائمه في وتد ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فيشدخه وقال ثابت البناني : قيل لفرعون ذي الأوتاد لأنه ضرب لامرأته أربعة أوتاد ثم جعل

على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت وقوله تعالى : { الذين طغوا في البلاد ... فأكثروا فيها الفساد } أي تمردوا وعتوا وعاثوا في الأرض بالإفساد والأذية للناس { فصب عليهم ربك سوط عذاب } أي أنزل عليهم رجزا من السماء وأحل بهم عقوبة لا يردها عن القوم المجرمين وقوله تعالى : { إن ربك لبالمرصاد } قال ابن عباس : يسمع ويرى يعني يرصد خلقه فيما يعملون ويجازي كلا بسعيه في الدنيا والأخرى وسيعرض الخلائق كلهم عليه فيحكم فيهم بعدله ويقابل كلا بما يستحقه وهو المنزه عن الظلم والجور